*دعوى وقوع اللحن في الجمع العثماني*

*(2)*

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد د/ وليد علي طنطاوي*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*waleed.eltantawy@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في دعوى وقوع اللحن في الجمع العثماني**

**الكلمات المفتاحية : الطاعنون ، روايات ، القرآن**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن دعوى وقوع اللحن في الجمع العثماني**

1. **عنوان المقال**

**أخرج أبو عبيد عن هانئ مولى سيدنا عثمان > قال: "كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها: لم يتسن، وفيها: لا تبديل للخلق، وفيها: فأمهل الكافرين، قال: فدعا بالدواة -أي سيدنا عثمان > دعا بالدواة؛ أي أمر أن يأتيه هذا الخادم بالدواة- فمحا أحد اللامين في قوله تعالى في سورة "الروم":** {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} **[الروم: 30] لأنها كانت قد عرضت عليه بلامين "لا تبديل للخلق" فمحا إحدى اللامين وأثبتها** {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} **كما هو الحال في المصاحف.**

**كذلك محا سيدنا عثمان > كلمة فأمهل الكافرين وكتب مكانها،** {ﮚ ﮛ} **[الطارق: 17] كما هو ثابت في سورة "الطارق"، كذلك في قوله : "لم يتسن"، كانت موجودة بين يدي سيدنا عثمان بدون هاء فأضاف لها الهاء، وأثبتها** {ﯨ ﯩ} **[البقرة: 259]، وألحق فيها الهاء التي كانت ناقصة منها.**

**قال أبو بكر الأنباري: فكيف يُدعا عليه أنه رأي فسادًا فأمضاه وهو يوقف على كل ما كتب؛ أي يراجع، ويعرض عليه كل ما كتب ويرفع إليه الخلاف الواقع من الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم بإثبات الصواب.**

**قال الإمام السيوطي -رحمه الله-: ويؤيد ذلك أيضًا ما رواه ابن أشتت في كتاب (المصاحف) عن عبد الله بن الزبير أنه قال: فجمع عثمان المصاحف ثم بعثني إلى عائشة فجئت بالصحف فعرضناها عليها حتى قومناها، ثم أمر بسائرها فشققت، ومعنى شققت: أي أزيلت أو محيت بأي وسيلة من وسائل الإزالة أو المحو، فهذا يدل على أنهم ضبطوها وأتقنوها، ولم يتركوا فيها ما يحتاج إلى إصلاح ولا تقويم.**

**الوجه السابع: أن سيدنا عثمان > لم يكتب مصحفًا واحدًا، بل كتب عدة مصاحف؛ فإن قيل: إن اللحن قد وقع فيها جميعًا فهذا بعيد؛ لأنه يبعد اتفاق الجميع في اللحن، وإن قيل: وقع اللحن في بعضها فهذا اعتراف بصحة البعض الآخر، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأتِ المصاحف قط مختلفة إلا من وجوه القراءة، ووجوه القراءة ليست بلحن، قال الدكتور أبو شهبة -رحمه الله-: إن هذا المروي يخالف ما كان عليه عثمان من حفظه للقرآن وملازمة قراءته ومدارسته حتى صار في ذلك ممن يؤخذ عنهم القرآن، وقد حرص غاية الحرص على إحاطة كتابة المصحف بسياج قوي من المحافظة على القرآن أن يتطرق إليه لحن أو تحريف أو تبديل، وقد جعل > من نفسه حارسًا أمينًا على كتابة المصاحف في عهده، وجعل من نفسه المرجع عند أي اختلاف في كيفية الرسم.**

**ويضيف الدكتور أبو شهبة -رحمه الله- فيقول: وهناك مثال على ذلك حيث إنه >، أي: سيدنا عثمان- قد قال: للرهط القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش، وقد اختلفوا في "التابوت" أيكتبونه بالتاء أم بالهاء، ورفعوا الأمر إليه فأمرهم أن يكتبوه بالتاء، فإذا كان هذا شأنه وشأنهم في حرف لا يتغير به المعنى، ولا يعتبر تحريفًا ولا تبديلًا، فكيف يعقل منه أن يرى في المصاحف لحنًا ثم يقرهم عليه؟ فهل يصح في العقول ممن هذا شأنه أن يرى لحنًا في المصاحف ثم يقرهم عليه ويدعه للعرب تصلحه؟ من أحق بإصلاح اللحن والخطأ منه > وهو من هو في حفظ القرآن وفي الحفاظ عليه، ومن المشاهد أنه لو أمر أحد الملوك أو الأمراء بنسخ مصحف أو كتاب فإن الكاتب لا يقدمه إلى الأمير أو الملك إلا بعد العناية بتصحيحه والتثبت من عدم وجود أي غلط فيه؛ فكيف بهؤلاء الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله تعالى؟! كيف بهم نظن فيهم أنهم لا يتحرون في كتابة القرآن ولا في ضبط المصحف الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف؟! كيف نظن بهم ذلك؟! ولن تجد للمسلمين عناية بشيء كعنايتهم بكتاب الله تعالى، وهذا أمر لا يحتاج إلى دليل.**

**وهنا انتهى كلام الدكتور أبو شهبة -رحمه الله- وهو كلام في غاية المعقولية والمنطقية يرد به على كل ما أثير في هذه القضية وفي هذه الدعوى.**

**مما سبق يتبين أن هذه الأوجه تدل على أن الآثار التي تحمل هذا المعنى منكرة وغير صحيحة؛ كان ما سبق جوابًا يتعلق برد الأثر المنسوب إلى سيدنا عثمان من ناحية السند ومن ناحية المتن.**

**يبقى أن نرد على هذا الأثر أيضًا من مسلك آخر وهو تأويل هذا الأثر على فرض التسليم بثبوته، نقول: لو فرضنا أن هذا الأثر سليم وصحيح وثابت نقول: المراد به أن فيه لحنًا عند من توهم ذلك وخفي عليه وجه الإعراب، وأن سيدنا عثمان إن كان قد قال ذلك فإنه أراد بقوله: ستقيمه العرب بألسنتها؛ أي ستقيمه العرب محتجين عليه مظهرين لوجه صوابه عند من توهم اللحن، أو عند من خفي عليه وجه الإعراب.**

**كذلك يمكن أن يقال: إن المراد باللحن ليس الخطأ، بل هو مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها كما كتبوا** {ﯭ} **[النمل: 21] بألف بعد حرف لا، وكما كتبوا:** {ﯞ ﯟ} **[المائدة: 29] كتبوا كلمة "جزاء" بواو وألف، وكما في قوله تعالى في سورة "الذاريات":** {ﯰ ﯱ ﯲ} **[الذاريات: 47] كتبوا كلمة "بأيد" بياءين، فلو قرئ بظاهر الخط كان لحنًا.**

**وبهذا الجواب جزم ابن أشتت في كتاب (المصاحف) فيكون المراد أن في رسم المصحف العثماني أن فيه شيئًا من الرسم الذي يفهمه العرب ويخفى على غيرهم؛ وذلك لأن بعض كلماته يزيد فيها حرف أو أكثر، وبعضها ينقص منه حرف أو أكثر، وبعضها يكتب فيه حرف بدل حرف وليس هذا بخطأ، وإنما هو رسم كان معروفًا لدى العرب، وعليه سار الكتاب في زمن النبي  وأقرهم عليه فلم يأمرهم بإثبات الأحرف التي اعتادوا حذفها، ولم يأمرهم بحذف الأحرف التي اعتادوا زيادتها، ولا شك أن هذا الرسم يفهمه العرب الذين تعودوا على هذه الطريقة، أما غيرهم من العجم الذين دخلوا في الإسلام فإنهم لا يستطيعون النطق الصحيح بمجرد النظر إلى هذا الرسم، ومن أراد أن يتصور هذا فليمسك بالمصحف المطبوع على الرسم العثماني وينقل جزءًا منه مجردًا عن النقط والشكل والهمز والعلامات المشيرة إلى ما حذف أو بدل أو زيد من الأحرف؛ فإنه عندئذ يعلم علم اليقين أنه لن يستطيع أن يقرأ قراءة صحيحة إلا من كان حافظًا لهذا الجزء من قبل، أو عالمًا بطريقة رسم المصحف.**

**فالعرب الكتاب في زمن عثمان > كانوا كالقراء المتقنين لفن رسم المصحف في أزمنتنا، ومن هنا يتبين أن قول سيدنا عثمان >: لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف. يتبين أن هذا القول معناه أن ثقيفًا وهذيلًا لم تكونا سائرتين على هذا المنهاج الذي سارت عليه قريش من الرسم الذي فيه حذف وزيادة وإبدال، فلو وليتا أمر المصاحف -أي: لو وليت ثقيف وهذيل أمر كتابة المصاحف- لرسمتها على كيفية النطق التي ينطقون بها، وهي كيفية مخالفة لرسم قريش.**

**ونقول كذلك: ليس هذا الكلام -إن ثبتت صحة نقله- تندمًا من سيدنا عثمان > ولا إخبارًا بأنه كان هو الأولى أن يوليهما أمر كتابة المصاحف؛ إذ لو كان كلام سيدنا عثمان: "لو الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف". لو كان هذا الكلام تندمًا لما قال لهم في هذا الأثر: لا تغيروها. مع أن تغييرها في الإمكان، وقد كان قرشيًّا كاتبًا وأمر باتباع قريش عند الاختلاف؛ فكيف يندم على شيء هو الآمر به؟ ولو كان تندمًا لما قال لهم في الأثر الآخر: أحسنتم وأجملتم.**

**كذلك يرد بأن المراد باللحن: القراءة واللغة، وليس المراد به الخطأ، فيكون المراد بكلمة "لحن" في الروايات المذكورة القراءة واللغة كما في قوله :** {ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ} **[محمد: 30]، والمعنى أن في القرآن ورسم مصحفه وجهًا في القراءة لا تلين به ألسنة جميع العرب، ولكنها لا تلبس أن تلين بالميران والممارسة وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه.**

**وهنا ملاحظة مهمة تتعلق بأثر مروي عن سيدنا عثمان > يحل هذا الإشكال الوارد في الأثر السابق؛ فقد روى ابن أشتت أثر سيدنا عثمان السابق في كتابه (المصاحف) بلفظ خالٍ من هذا الإشكال؛ فعن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال: "لما فرغ من المصحف أتي به عثمان فنظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئًا سنقيمه بألسنتنا". وهذه الجملة هي التي تفرق بين هذا الأثر وبين الأثر السابق الذي رأينا فيه الإشكال؛ ففي الأثر السابق ورد أن سيدنا عثمان قال: "أرى فيه لحنًا ستقيمه العرب بألسنتها"، أما في هذا الأثر المروي عند ابن أشتت في كتاب (المصاحف) أثبت فيه أن سيدنا عثمان قال: "أحسنتم وأجملتم، أرى شيئًا سنقيمه بألسنتنا". قال الإمام السيوطي -رحمه الله-: فهذا الأثر لا إشكال فيه وبه يتضح معنى ما تقدم؛ فكأنه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته فرأى فيه شيئًا كتب على غير لسان قريش كما وقع له في "التابوه" و"التابوت" فوعد على أنه سيقيمه على لسان قريش، ثم وصى بذلك عند العرض والتقويم، ولم يترك فيه شيئًا فيه مخالفة أو فيه لحن أو فيه خطأ، ولعل من روى تلك الآثار السابقة عن سيدنا عثمان حرَّفها ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن سيدنا عثمان، فلزم منه ما لزم من الإشكال، فهذا أقوى ما يجاب به عن ذلك، ولله الحمد.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**